الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط

الملتقى الدولي الثاني:

السياسة العثمانية بين المجال البحري والصحراوي

بالمنطقة المغاربية في العصر الحديث والمعاصر

عنوان المداخلة:

السياسة العثمانية اتجاه الصحراء الجزائرية بين التمدد والانحصار

منطقة وادي ريغ أنموذجا

أ/بن معيزة محمد شرعي

أستاذ مساعد بجامعة حمة لخضر بالوادي

تخصص:تاريخ حديث.

ملخص المداخلة:

تتمحور هذه المداخلة حول كشف سياسة الأتراك العثمانيين بالجزائر اتجاه المنطقة الصحراوية عموما ومنطقة وادي ريغ خصوصا ،هذه السياسة التي لم تختلف عن طبيعة تعاملهم مع بقية المناطق البعيدة عن مدينة الجزائر حاضرة وعاصمة السلطة القائمة آنذاك.وعموما فإن الحرص على ضمان تبعية وولاء قبائل وحكام هذه المنطقة كانت هي السمة البارزة لهذه السياسة؛وذلك من خلال الالتزام بدفع الإتاوة السنوية كعربون وفاء والتزام بالتبعية لهذه السلطة التي جردت عدة حملات عسكرية ضد القوى التي شقت عصا الطاعة في العديد من المناسبات كبني جلاب في تقرت خلال الفترة الممتدة من القرن 10ه/16م إلى القرن 13ه/19م.

this intervention is about the disclosure of the politics of ottoman Turks in Algeria regarding the Sahara region in general ,and Oued Righ in particular .This politics was also applied in the rest of the regions of Algeria at that time One of the most outstanding features of this politics is its carefulness to guarantee the loyalty and dependency of all tribes and governors of this regions, so they should pay annual as a deposit of truthfulness and commitment to dependency on this authority , which incited many military campaigns against the forces who should disobedience in several times like the beni Jalap which was built in Touggourt in the period between 16the century to 19the century.

مقدمة:

كان لدخول الجزائر تحت راية الخلافة العثمانية في مطلع القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي بالغ الأثر في طبيعة التحولات التي شهدتها البلاد في شتى المجالات،حيث عملت السلطة الجديدة على وضع آليات وأسس الحكم الجديد القائم على تحجيم دور القبائل والقوى المحلية التي سعت جاهدة خلال الفترة السابقة لضمان نفوذها واستقلالها عن السلطتين الزيانية والحفصية في ظل الصراع القائم بينهما على اقتسام مناطق النفوذ بالمغرب الأوسط،مما انعكس سلبا على الأوضاع الداخلية والخارجية للبلاد.ومن هذا المنطلق عمل الأتراك العثمانيون بالجزائر على وضع أسس حكمهم القائم على ضمان تبعية وولاء مختلف مناطق البلاد للسلطة المركزية مباشرة أو عبر الارتباط بحكام البيالك القريبة. ونظرا لخصوصية المنطقة الصحراوية ـومنها إقليم وادي ريغ الواقع في الناحية الشمالية الشرقية للصحراءـ والمتميزة بشساعة مساحتها وتنوع قبائلها وقواها المحلية الحاكمة جاءت هذه المداخلة التي تتمحور حول إشكالية طبيعة العلاقة بين الأتراك العثمانيين والقوى المحلية بمنطقة وادي ريغ ،والوسائل التي اتبعتها السلطة القائمة في ضمان تبعية وولاء هذه القوى لهم.و قد ركزت في معالجة هذا الموضوع على النقاط التالية:

ـالتعريف بمنطقة وادي ريغ.

ـأوضاع المنطقة في مطلع القرن 10ه/16م.

ـ سياسة حكام الجزائر الأتاك العثمانيين اتجاه المنطقة.

أولاـ التعريف بمنطقة وادي ريغ:

1-أصل التسمية:

وادي ريغ منطقة ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ لها حضور في كتب الرحالة والجغرافيين والمؤرخين الذين عملوا جاهدين للوقوف على أصول المنطقة وسكانها؛ حيث سماها ياقوت الحموي بالزاب الصغير أو ريغ[1]، وأطلق عليها ابن خلدون بلاد أو أرض ريغ[2].وإذا كان مصطلح الوادي فيه دلالة على الانخفاض؛ باعتبار أن المنطقة منخفضة عن مستوى سطح البحر، فإن كلمة ريغة أو ريغ ذات صلة بأصل سكانها، حيث ذهب ابن خلدون إلى أن ريغة هي إحدى بطون مغراوة[3] ، وقد قال عنها: « وأما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة...ونزل الكثير منهم ما بين قصور الزاب و واركلا، فاختطوا قرى كثيرة في عدوة واد ينحصر من الغرب إلى الشرق، ويشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة والأطم، وقد رفّ عليها الشجر ونضدت حوافيها النخيل، وانساحت خلالها المياه، وزهت بينابيعها الصحراء، وكثر في

[1] -ياقوت الحموي:**معجم البلدان**،ط1،تحقيق:فريد عبد العزيز جندي،دار الكتب العلمية، بيروت 1440ه/1990م، ص129.

[2] -عبد الرحمان بن خلدون:**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والبربر ومن ساندهم من ذوي السلطان الأكبر**، د.ط، دار الكتب اللبنانية ومكتبة المدرسة، بيروت،مج7، ج13، ص98.

[3] -معاد عمراني: **منطقة وادي ريغ في ظل الاحتلال الفرنسي (1854-1962م) دراسة سياسية**،بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر،إشراف: لـزهر بديدة، قسم التاريخ،كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر2-بوزريعة، السنة الجامعية: 1436-1437ه/ - 2015 -2016 م، ص21.

قصورها العمران من ريغة هؤلاء، وبهم تعرف لهذا العهد . »[1] ، وعندما نعرج على ما دونه العدواني فإن هذا الأخير يرجح أن أصل التسمية يعود إلى رجل يلقب بريغ واسمه ياهوت بن شلمخ بن كعب بن غاوية من ولد أندلس بن يافث بن نوح عليه السلام[2].

1-الخصائص الطبيعية للمنطقة:

يقع إقليم وادي ريغ في المنطقة المنخفضة للصحراء الشمالية الشرقية، وهي منطقة منبسطة غنية بمياهها الجوفية مما ساعد على نشوء واحات النخيل الوارفة،حيث يمتهن السكان حرفة غراسة فسائل نخيل التمر،فضلا عن بعض النشاطات الأخرى كتربية الحيوانات والتجارة.ويمتد هذا الإقليم طوليا على مسافة 160كلم،وبعرض يتراوح ما بين 30 و40كلم،حيث يبتدئ من عين الصفراء قرب بلدة أم الطيور(ولاية الوادي) شمالا،وينتهي بقرية قوق(ولاية ورقلة)جنوبا .يحد هذا الإقليم من الشمال الحدود الجنوبية الغربية لشط ملغيغ(جنوب إقليم الزاب)، ومن الجنوب المناطق الشمالية لولاية ورقلة،ومن الناحية الشرقية مساحات شاسعة من العرق الشرقي الكبير حيث تبرز الكثبان الرملية باختلاف أشكالها وأحجامها،ومن الغرب منحدر حصوي وهضبة ميزاب [3].

إن أبرز ما يميز تضاريس منطقة وادي ريغ استواء سطحها وانحداره البسيط من الجنوب نحو الشمال مع بروز بعض المنخفضات الشديدة كشط ملغيغ وشط مروان(ـ 35م) عن مستوى سطح البحر، وبذلك فإن طابع الرتبة وندرة المرتفعات هي السمة البارزة لهذه المنطقة،حيث أن متوسط ارتفاعها لا يتجاوز 300م.[4]

[1] - ابن خلدون، المصدر السابق، مج.7، ج.13، ص.98.

[2] - محمد بن عمر العدواني، **تاريخ العدواني**، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005 م، ص138..

[3] - يمينة بن صغير حضري: **"سياسة التوغل الاستعماري الفرنسي بمنطقة وادي ريغ"**،مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 07، العدد 02،معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة غرداية، موسم 2014، ص458.

[4] – معاد عمراني:**المرجع السابق**،ص 20.

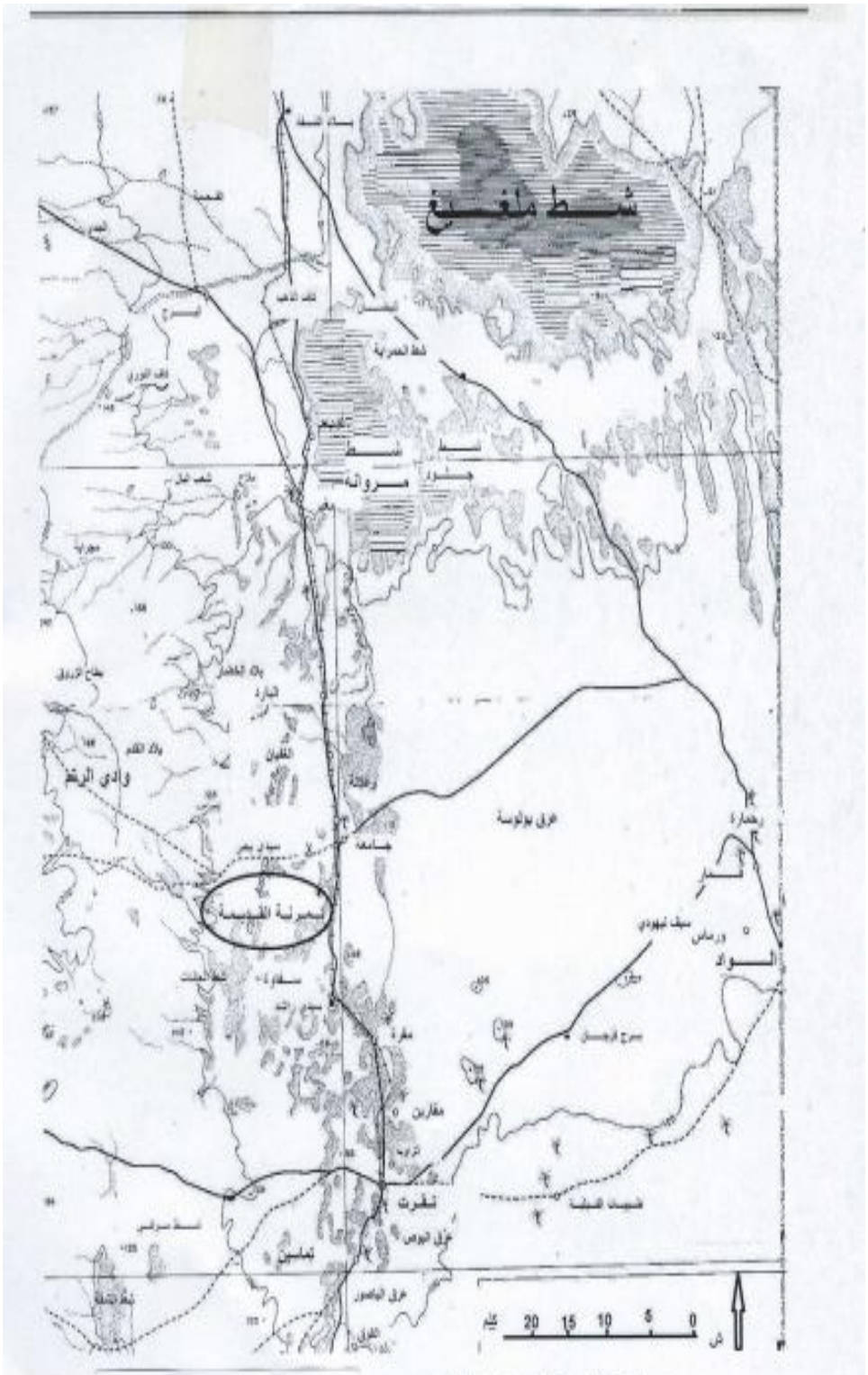

خريطة 01 :الموقع الجغرافي لمنطقة وادي ريغ

المرجع: ميينة بن صغير حضري:**المرجع السابق**،ص459.

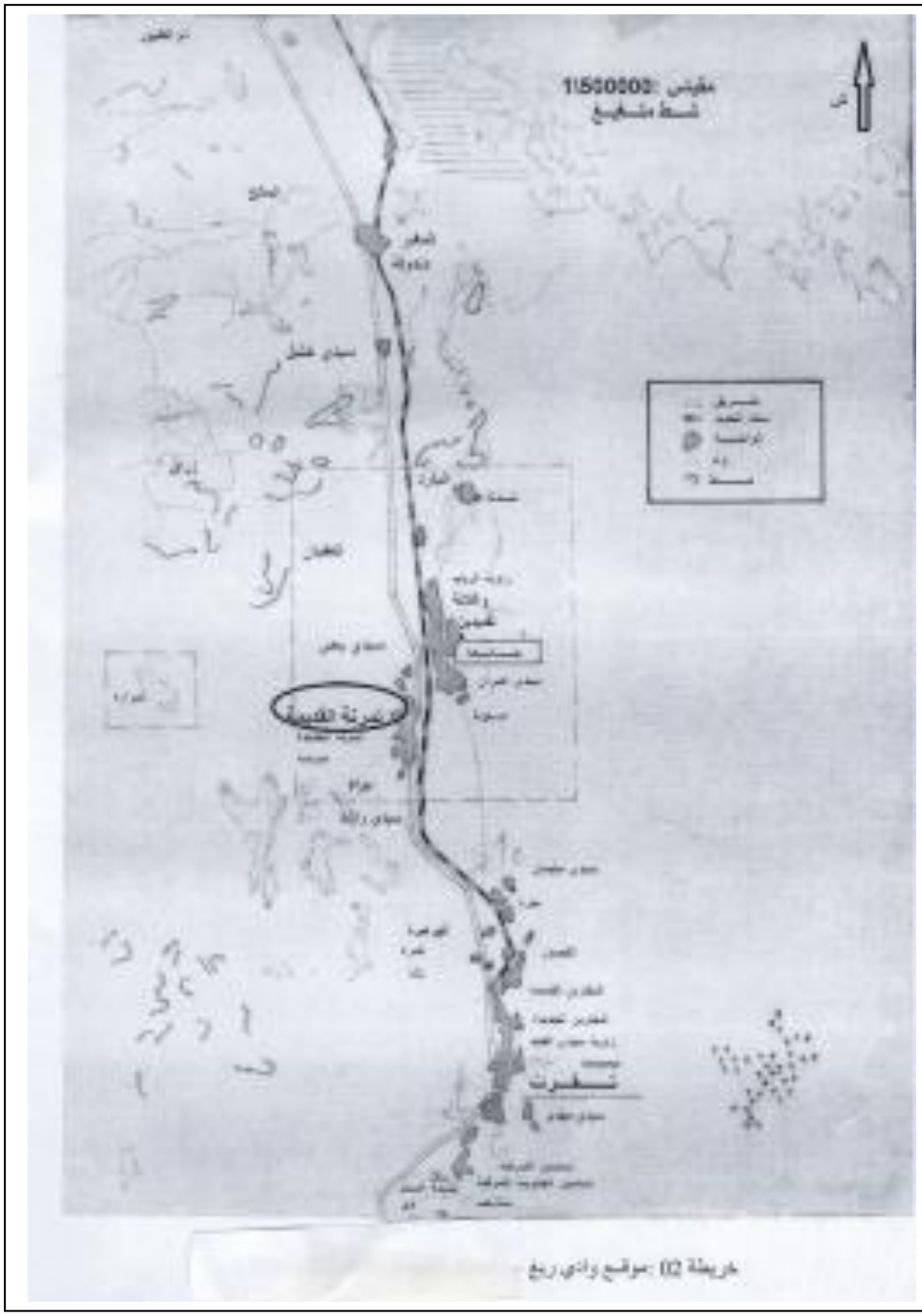

خريطة 02 :موقع وادي ريغ

المرجع: يمينة بن صغير حضري:**المرجع السابق**،ص460.

ثانيا- أوضاع المنطقة في مطلع القرن 10ه/16م :

دانت هذه المنطقة بالولاء للسلطة الحفصية بتونس في مطلع العصر الحديث، شأنها في ذلك شأن العديد من أقاليم المنطقة الشرقية والجنوبية الشرقية بالمغرب الأوسط ، حيث فرضت على أهلها المغارم التي كان السلطان وعماله يستخلصانها منهم، وهذا ما أكدته مصادر تلك الفترة،حيث أورد الوزان في مصنفه شهادته على بعض تلك الوقائع فقال: « كانت توقرت[1] تخضع لملك تونس، الذي تؤدي له خمسين ألف مثقال في السنة، شريطة أن يأتي بنفسه لجبي الخراج... » [2] . وفي إشارة الوزان لتوقرت فيه دلالة على أهمية المدينة باعتبارها عاصمة إقليم وادي ريغ ومركز السلطة السياسية والعسكرية فيه[3].

عقب تراجع قوة ونفوذ إمارة بني حفص في عشرينيات القرن السادس عشر، ضعفت سطوتهم ونفوذهم بالمنطقة لصالح أسر وحكام محلين عملوا على ضمان سيادتهم على الإقليم ، بعيد عن ولاء التبعية لسلطة أخرى، كما هو شأن بني جلاب[4] الذين آل إليهم حكم هذه المنطقة في ثلاثينيات هذا القرن.فقد ساهمت الظروف المعيشية للسكان وقلة ذات اليد من التمكين لهذه الأسرة بالمنطقة،حيث اعتاد السكان على شراء الأغنام من الجلابيين الذي تفرقت بهم السبل قي أرجاء المغرب الأوسط ، عقب تراجع سلطانهم بالمغرب الأقصى وتلمسان،فنزل بعضهم بمنطقة تاجمونت قرب الأغواط ، ومن هناك كانوا يبعثون بتجارتهم إلى ورقلة وتوقرت ، وكان من عادتهم البيع إلى أجل، حيث يمهلون السكان إلى غاية رجعوهم إلى المنطقة بتجارة أخرى، وقد يزيدون في الأجل إذ تعسر على هؤلاء السكان الوفاء بدينهم[5].

وافقت هذه الوقائع تولي محمد بن يحي مشيخة المنطقة، فكان يعرف بسلطان وادي ريغ، ومن أبرز الأحداث التي عاصرها وفود أحد أعيان وشيوخ بني جلاب وهو أحمد الجلاب على المنطقة ، وكان ذلك أثناء رحلته لأداء مناسك الحج، حيث قام بمطالبة السكان بتسديد ما عليهم من مغارم، ولكن نظرا لعجزهم اقترحوا على سلطانهم –الذي دعاهم للوفاء بدينهم- التنازل له عن أملاكهم، فمكان من أحمد الجلابي إلا إرجاء الأمر إلى غاية عودته من أداء مناسك الحج.وبعدما قفل راجعا التقى بمحمد بن يحي الذي سلمه حكم الواحة وكان ذلك حوالي سنة937ه/1531م، ويرجح أن سلطان وادي ريغ سلك هذا المسلك خوفا من قيام يهود المنطقة باستغلال حاجة السكان فيغرقونهم في الديون والربا للاستيلاء على أملاكهم[6].

---

[1] -تبعد توقرت عن الجزائر العاصمة بحوالي 620 كلم، وقد تعددت وتنوعت الروايات حول أصل التسمية، إلا أن الراجح في ذلك أنها مصطلح أمازيغي، ومعناه المنطقة القاسية والتي تصعب فيها الحياة، للمزيد من المعلومات حول مصطلح توقرت ينظر: معادعمراني « **البعد الأمازيغي في أسماء مدن و قرى وادي ريغ ووادي سوف بالجنوب الشرقي الجزائري**» أعمال الملتقى الوطني حول التخطيط اللغوي أيام 03 – 04 – 05 ديسمبر 2012م، مخبر الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري بتيزي وزو .

2- الحسن بن محمد الوزان، **وصف إفريقيا**، ترجمة: الحجي والأخضر، ج.2، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص.45.

3- معادعمراني: **منطقة وادي ريغ في ظل الاحتلال الفرنسي (1854-1962م) دراسة سياسية**،المرجع السابق،ص22.

4- يعود أصل بني جلاب إلى بني مرين، وهذا ما أكده الرحالة المغربي العياشي بقوله:"وأمراء هذه البلدة أولاد الشيخ أحمد بن جلاب وأسلافهم من بني مرين."،ينظر،عبد الله بن محمد العياشي:**الرحلة العياشية**،ط1،تحقيق:سعيد الفاضلي وسليمان القرشي،دار السويدي للنشر والتوزيع،أبو ظبي،2006،ج1،ص122.

5-محمد الطاهر بن دومة:**أخبار وأيام وادي ريغ**، تقديم وتحقيق :محمد الحاكم بن عون،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ،تخصص علم المخطوط العربي،إشراف:إبراهيم بكير بحاز ،قسم التاريخ والآثار،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري بقسنطينة، الموسم الجامعي2010-2011، ص ص 103-104. .

6-نفسه والصفحة،ومعاد عمراني: **منطقة وادي ريغ في ظل الاحتلال الفرنسي (1854-1962م) دراسة سياسية**،المرجع السابق،ص46.

عقب فترة من إدارة شؤون توقرت وأحوازها،قام أحمد الجلابي بتقسيم الحكم بين ابنيه محمد وإبراهيم، فأعطى الأول إدارة شؤون توقرت الحاضرة، وكلف الثاني برعاية شؤون تماسين[1].وكان هدف السلطان بعمله تفادي الصدام والتنافس على السلطة بين الأخوين،ولكن حدث العكس، بعدما شب النزاع والشقاق بين الإخوة الأعداء، نظرا لطمع كل طرف في ملك الأخر،خاصة في عهد الأحفاد من الأسرة الجلابية، الأمر الذي أدى إلى ترهل سلطتهم شيئا فشيئا .[2]

تزامن قيام الحكم الجلابي بالمنطقة مع تراجع النفوذ الحفصي في شرق وجنوب شرق المغرب الأوسط وتعاظم سلطة الأتراك العثمانيين الذين عملوا على مد نفوذهم إلى منطقة شمال الصحراء،مما أدى إلى وقوع الصدام بين الطرفين.في ظل هذه الظروف سعى الجلابيون لعقد تحالفات مع بعض القوى المحلية ذات النفوذ بالمنطقة، حيث تقربوا من الذواودة شيوخ العرب[3]،فكانت بينهم علاقات صداقة ومصاهرة،الأمر الذي مكن بني جلاب من التمدد في باقي مناطق وادي ريغ[4].

ثالثا- سياسة حكام الجزائر الأتراك العثمانيين اتجاه المنطقة:

لم تختلف سياسة الحكام الأتراك اتجاه منطقة وادي ريغ وحاضرتها توقرت عن سياستهم العامة اتجاه مناطق البلاد، حيث رأوا أن وجودهم واستمرارهم مرهون بضمان تبعية وولاء هذه المناطق لهم، من خلال أداء فروض الطاعة المختلفة ، وفي مقدمتها الوفاء بدفع الضرائب بانتظام، والاعتراف بالتبعية الروحية والزمنية للسلطان العثماني، من خلال تسميته على المنابر وفي الخطب والجماعات، وهذا ما برز جليا من خلال الاتفاق بين خير الدين باشا وقبائل الأعراب في بدايات التمدد العثماني نحو المناطق الداخلية والجنوبية. وقد كان لهاجس تمردات الحكام المحليين عن السلطة المركزية وممثليها في البيالك المختلفة حضوره القوي في مخيلة حكام الإيالة، حيث عايش العديد منهم صورا متعددة لذلك منذ عهد خير الدين؛ كما حدث مع أمراء الدولة الزيانية بتلمسان، وحكام إمارة كوكو في بلاد القبائل. وانطلاقا من مختلف هذه المعطيات وغيرها فقد انتهج هؤلاء الحكام وممثليهم ببايلك الشرق أسلوب الصرامة في التعامل مع سلاطين الإمارة الجلابية، الذين رأوا في الالتزام المنتظم بدفع الضرائب إرهاق لهم من الناحية المالية والاقتصادية، وانتقاص من مطلق سيادتهم[5].

وعموما فإن سياسة الإخضاع والتبعية التي انتهجها الأتراك العثمانيون في المنطقة يمكن إجمالها في النقاط التالية:

أ-تجريد الحملات العسكرية:

امتدت هذه الحملات على طول الفترة من سنة 1552م إلى سنة 1881م، وكان عددها أربع حملات،أي

---

[1] -تقع بلدة تماسين إلى الجنوب من توقرت على بعد 10كلم.أنظر الخريطة رقم 1،ص4.

[2] - محمد الطاهر بن دومة:**المرجع السابق**،ص105.

[3] -ظهر هذا المنصب حوالي سنة 1541م، وذلك تنفيذا للاتفاق الذي تم بين بيلرباي الجزائر خير الدين وكافة القبائل العربية من رياح وبني هلال من خلال الإقرار بامتيازات هؤلاء في المناطق التي يقيمون فيها ، مقابل إعلان ولائهم للسلطان العثماني. كما أفضى الاتفاق على تعيين أمير الذواودة حاكما للمنطقة، وذلك عقب اتفاق القبيلة على اختياره ، وعرف هذا الحاكم بشيخ العرب.ومن أوائل من تولوا هذا المنصب علي أبو عكاز بن السخري.أنظر،محمد خير الدين:**مذكرات الشيخ محمد خير الدين**،مطبعة دحلب،الجزائر،1985،ج1، ص ص41 -42.

[4] - ومعاد عمراني: **منطقة وادي ريغ في ظل الاحتلال الفرنسي (1854-1962م) دراسة سياسية**،المرجع السابق،ص46.

[5] - محمد بن معمر: **"علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية في الجزائر"**،مجلة الحضارة الإسلامية، مج 9،عدد12،كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة،زهران،2005،ص29.

حملة واحدة لكل قرن. وقد جاءت هذه الحملات كما يأتي:

1- حملة البيلرباي صالح رايس[1] على توقرت:

قاد صالح رايس حملته العسكرية ضد بني جلاب و عاصمتهم توقرت في أكتوبر 1552م، وذلك في إطار سياسته لمد نفوذ الإيالة نحو المناطق الجنوبية ،وذلك بعدما استبد بنو جلاب بإمارتهم وامتنعوا عن أداء المغرم، وقد تزامن ذلك مع إيفاده لبعثة من الضباط الأتراك إلى المنطقة تحت حماية شيخ العرب علي أبو عكاز بن السخري،وذلك لدفع الجلابيين وحثهم على للالتزام بطاعتهم للسلطة المركزية وأداء فروض الطاعة، خاصة ما تعلق بالمغارم[2].

تشكلت هذه الحملة من جيش مكون من ثلاثة آلاف من المشاة وألف من الخيالة ،مدعومين بمدفعين،حيث تمكن باشا الجزائر من إرغام حاكم توقرت على دفع غرامة له، بعدما اضطره إلى الاستسلام عقب حصار للواحة دام ثلاثة أيام[3]. وعقب إنهاء حملته على الواحة، اتجه إلى ورقلة التي وصلها بعد أربعة أيام من السير،فلم يجد بها إلا أربعين تاجرا من السودان ،فأخذ منهم حوالي 200ريال. أما حاكم المدينة فقد انسحب إلى نواحي القليعة مع عدد كبير من الفرسان والأهالي.وعقب عشرة أيام من الإقامة هناك قفل بيلرباي الجزائر راجعا ، بعدما ترك لحاكم ورقلة رسالة يؤمنه فيها على نفسه وملكه شريطة تقديم ضريبة سنوية لا تقل عن ثلاثين عبدا من الرقيق[4].

2- حملة يوسف باشا :

شملت هذه الحملة منطقة توقرت، وامتدت إلى ورقلة، وقد قادها الباشا بنفسه،وكان ذلك في سبتمبر1649م،وذلك بسبب تمرد توقرت ورفضها الخضوع للسلطة المركزية.ورغم الغموض الذي اكتنف الحملة،ربما حفاظا على سريتها بهدف تحقيق النتائج المتوخاة منها،حيث أن النتائج التي ترتبت عنها كانت أبقى وأثبت مقارنة بسابقتها،ذلك أن الضريبة التي فرضت على سكان المنطقة كمساهمة منهم

منهم في الخزينة المركزية تم إقرارها بصفة نهائية[5].

تتلخص هذه الضريبة التي جاءت في دفتر التشريفات مسجلة بتاريخ 1205ه/1790م،في مساهمة تلك المناطق من شمال الصحراء بخمسة وأربعين فردا من رقيق السودان، يتوزعون كالتالي:ورقلة بخمسة

---

[1] - تولى حكم الإيالة في الفترة(960-963ه/1552-1555م)،اشتهر بحملاته لمد نفوذ الإيالة،وأنهى حكم الزيانيين بتلمسان.أنظر،عثمان الكعاك: **موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي**،ط1،تعليق و تحقيق:ناصر الدين سعيدوني،القسم الثالث الفترة العثمانية،دار الغرب الإسلامي،بيروت،2003،ص284.

[2] -محمد خير الدين:**مرجع سابق**،ج1،ص43.

3-Fray Diego De Haedo, **Histoire des Rois d'Alger,**Trad. par H.DE Grammont, in Revue africaine, 1888, pp 271-172.

حاول هايدو في تعليقه على الحملة تشويه صورة حكام الجزائر بزعمه أن صالح رايس قام بإبادة سكان توقرت عن بكرة أبيهم ، وهذا مستبعد جدا وإلا فإن حدث جلل كهذا ما كان لتغفله المصادر المعاصرة.

4 - ناصر الدين سعيدوني:**ورقات جزائرية دراسة وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**،ط2، البصائر للنشر والتوزيع،الجزائر،2012، ص484 .

5 - ناصر الدين سعيدوني:**المرجع السابق**،ص485.

وعشرين عبدا، توقرت بستة عشر عبدا، وتماسين بأربعة عبيد[1].

3- حملة صالح باي :

إذا كانت الحملات السابقة قد قادها حكام الإيالة،فإن هذه الحملة فقد تولى قيادتها باي قسنطينة بتحريض من الشيخ أحمد الجلابي الناقم على ابن عمه الشيخ عمر حاكم توقرت آنذاك،فقام الباي بحملته بعد اتهامه للشيخ عمر الذي تخلى عن السلطة التركية، ولم يعد يدفع الضرائب،وكان ذلك في شتاء1788م.وبعد حصار طويل دام ما بين خمس وعشرين يوما وستة أشهر حسب اختلاف الروايات،لم يتمكن صالح باي من إرغام السكان الذين ساندوا حاكمهم على الإستسلام،فقام الباي بقطع أشجار النخيل انتقاما منهم.وبعدما أشرفت مؤنة الجيش على النفاذ،قام صالح باي بهجوم كاسح مستعملا فيه قطع المدفعية التي أحدثت ثغرة في سور المدينة ،التي دخلها ونصب عليها الشيخ أحمد حاكما جديدا ، بعدما أخذ منه رسم التولية والذي قدر بمليون فرنك، زيادة على تسلمه ألف بوجو عن كل مرحلة قطعها من قسنطينة إلى توقرت.وقد أبانت هذه الحملة على أنها كانت لأغراض شخصية انتقامية أكثر منها لخدمة مصلحة الإيالة.[2]

لقد علق العام الذي جرت فيه هذه الحملة في أذهان سكان المنطقة،نتيجة الخسائر التي تكبدوها،خاصة الاقتصادية منها، زيادة عن الظروف المناخية التي أحاطت بالحملة،حيث سموا هذا العام بعام الثلج،حيث تهاطلت الثلوج والأمطار الغزيرة على المنطقة[3].

4- حملة الباي أحمد المملوك :

بتحريض من فرحات بن سعيد شيخ العرب الراغب في القضاء على سلطة بني جلاب وإلحاق توقرت بمشيخته ،قام أحمد المملوك[4] باي قسنطينة بحملته على الواحة عام 1818م،حيث قام بالعديد من الأعمال التخريبية،لإرغام الأهالي للرضوخ للمطالبه،إذ قام بقطع أشجار النخيل وطمس مياه الأبار،الأمر الذي أرغم سلطان توقرت للمسارعة لإرضائه بتقديم ضريبة سنوية مقدارها ألف ريال بسيطة[5].

ب-التواصل الاجتماعي والاقتصادي:

إذا كانت الحملات سالفة الذكر قد اكتست طابعا سياسيا وعسكريا،فإن السلطات التركية العثمانية سعت لإيجاد سبلا للتواصل الاجتماعي والاقتصادي بين الأقاليم الصحراوية والمناطق التلية لإضفاء طابع الشرعية المجتمعية للوجود التركي في الجزائر من خلال فتح المجال أمام مختلف القبائل الصحراويـــة

لولوج أسواق المنطقة التلية التي كانت مصدرا مهما للتزود بالمواد الاستهلاكية الضرورية والتي تفتقد في المناطق الصحراوية،حيث ترد العديد من قبائل وادي ريغ على هذه الأسواق محملة ببضائع متنوعة كالجلود ،والأصواف،والتمور،مقابل الحصول على مواد غذائية هامة، وفي مقدمتها الحبوب، كما يقومون

1- (Ch) Feraud, **Le Sahara de Constantine**, A.Jourdan, Alger, 1887, P.33.

2- ناصر الدين سعيدوني:**المرجع السابق**،ص485.

3- معاد عمراني: **منطقة وادي ريغ في ظل الاحتلال الفرنسي (1854-1962م) دراسة سياسية**،المرجع السابق،ص49.

4- يعتبر هذا الباي المملوك الوحيد الذي تولى شؤون بايلك في عهد الأتراك العثمانيين، وذلك لأن حسن باشا باي الجزائر قصد بتوليته إغاظة الترك لأنه من غير جنسهم.أنظر، نفسه والصفحة.

5- نفسه، ص ص49-50.

بجلب الشعير لمواشيهم.كما كان من عادات بعض القبائل البدوية الوفود مع مواشيهم على المناطق السهبية في أواخر الربيع وطيلة فصل الصيف.شجع الحكام الأتراك هذه القبائل على الهجرة الفصلية للتل،ذلك لأنهم وجدوا في هذه العلاقة المؤقتة وسيلة فعالة لتوطيد سلطتهم وتأكيد نفوذهم على سكان الجنو، فضلا عن كونها مناسبة سانحة لاستخلاص ضريبة خاصة بامتياز التنقل إلى التل،وقد عرفت هذه الضريبة في بعض المناطق بضريبة العسة والمعونة.[1]

أما في مجال التواصل الاقتصادي فبرز النشاط التجاري في مقدمة الأنشطة التي فسحت مجال التمدد العثماني في الفضاء الصحراوي، وذلك بحكم موقع بعض مدنه كتوقرت وتماسين في محور طرقين تجاريين مهمين، وهما طريق غرب شرق يربط تافيلات المغربية بغدامس الليبية، وطريق شمال جنوب ويربط شمال الجزائر وموانئها بمناطق السودان الغربي.وبذلك أصبحت توقرت وأحوازها محطة وسوقا لتبادل التجاري، حيث تعرض البضائع المحلية وبضائع جنوب الصحراء ،كالتمور والأصواف والجلود والملح والحناء والمواشي والجمال والعاج والفول السوداني والبخور، كما تعرض كذلك المنتوجات التلية كالحبوب والزيوت والأسلحة والعطور والأقمشة ومختلف المواد المستوردة كالشاي والسكر والقهوة.ولكن الملاحظ أن هذا الرخاء الاقتصادي الذي عرفته المنطقة خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/ السادس عشر والسابع عشر الميلاديين قد تراجع في أواخر القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر ميلادي،نتيجة عدة أسباب وتحولات منها،تحول طريق الذهب إلى موانئ الأطلسي، والصراع العشري، والتنافس الذي برز بين الحكام المحليين،وكثرة التي فرضت على سكان المنطقة وتجارها[2].

إن هذا الواقع الاقتصادي لتوقرت حاضرة وادي ريغ،حتم على الحكام الجلابيين انتهاج سياسة المهادنة مع السلطة المركزية وممثليها في بايلك الشرق،من خلال عدم المبالغة في التمرد،والعمل على دفع الضرائب بين الفينة والأخرى،وذلك لضمان أمن المنطقة واستقراره، لتفادي الحملات العسكرية المتكررة والتي كانت واحدة من الأسباب الرئسة في تدهور الحركية التجارية بالمنطقة، وما انجر عنه من انعكاسات اقتصادية واجتماعية على سكان الواحة.ومن هنا أصبح ضمان استمرارية النشاط التجري هاجس أرق بال حكام الإقليم وساكنته،مما دفعهم لتقديم تنازلات للسلطة المركزية، لثنيها على القيام بنشاط عسكري دائم.كما أن حكام الإيالة استغلوا هذا الوضع لزيادة الضغط ، من أجل ضمان ولاء دائم،خاصة ما تعلق بدفع المغارم ،حيث استمر الجلابيون في دفعها إلى فترات متأخرة من حكم أحمد باي لبايلك الشرق إلى أن سقطت قسنطينة في يد القوات الفرنسية[3].

---

[1] - ناصر الدين سعيدوني:**المرجع السابق**،ص486-487.

[2] -محمد بن معمر:المرجع السابق،ص25.

3-نفسه والصفحة.و معاد عمراني: **منطقة وادي ريغ في ظل الاحتلال الفرنسي (1854-1962م) دراسة سياسية**،المرجع السابق،ص49.

خاتمة :

من خلال هذه المداخلة يتضح تنوع طبيعة العلاقات التي ربطت الأتراك العثمانيين بمنطقة وادي ريغ وإن كان محورها العام حرص هؤلاء الحكام على ضمان تبعية المنطقة لسلطتهم، من خلال الإلتزام بفروض الطاعة،وإن الطابع العام لهذه العلاقة قد اختزل في الالتزام بدفع المغارم،مما يطرح إشكالية نظرة هؤلاء الحكام للرعية، على أنهم أحد المصادر الأساسية للثروة.كما أن سعي الأتراك العثمانيين لإخضاع إمارة بني جلاب بالقوة من خلال تجريد الحملات، وفرض الضرائب المتنوعة، ولد نوعا من الكراهية لدى السكان، وأضر بالعلاقة بين الطرفين،الأمر الذي جعل الأهالي يلتفون حول حكام الإمارة ضد سلطة الإيالة.

إن وقائع الأحداث أبانت عن طبيعة تكوين هؤلاء الحكام ،الذين اختزلوا علاقتهم بالمنطق في دفع الضرائب، في الوقت الذي كان بالإمكان الاستفادة من المقدرات الاقتصادية للمنطقة،وتحويلها إلى قطب من الأقطاب الاقتصادية خاصة في المجال التجاري، مما يساهم في تعويض التراجع المالي للإيالة عند تدهور نشاط الجهاد البحري،وبذلك تنشأ علاقة تكاملية اقتصادية بين هذه المنطقة والمناطق التلية